رائدات اعطين التمريض مفهومه عبر التاريخ في الشجاعة والرعاية والعلم المستمر

على مرّ التاريخ، شهدت مهنة التمريض تطوّرات كبيرة على ايدي ممرضات كان لهن الفضل في تحسين حياة المرضى والقطاع الطبي ككل، بعدما قدّمن مساهمات مميّزة ومبتكرة في تعزيز الرعاية الصحية. من فلورنس نايتنغيل المعروفة بمؤسستها «للتمريض الحديث» إلى ماري إليزا ماهوني أول ممرضة أمريكية من أصل أفريقي محترفة روايات كثيرة عن ممرضات تحلّين بالشجاعة والبطولة التي انعكست على ممارسة التمريض اليوم، خرقها بعض الممرضين الذين مارسوا المهنة بشغف مثل والت ويتمان.

وفق ما تم تدوينه انه تمّ تأسيس أول مدرسة تمريض علمانية في العالم في مستشفى سانت توماس في لندن على يد فلورنس نايتنغيل عام ١٨٦٠. وشكلّت هذه الخطوة محطة محورية في تاريخ تعليم التمريض والإحتراف. أيقنت نايتنغيل التي كانت مصلحة اجتماعية الحاجة الملحة الى التدريب والتعليم المنهجي للممرضات، بعد توصلّها الى قناعة أن الرعاية التمريضية الكفؤة والرحيمة ضرورية لتحسين نتائج المرضى.

يحتفل العالم كله ب نايتنغيل مؤسسة التمريض الحديث يوم ١٢ مايو/أيار من كل عام في ذكرى ميلادها، الذي أقره المجلس العالمي للتمريض «يوم التمريض العالمي» تقديرا لدورها العظيم.

فلورنس نايتنغيل

ولدت فلورنس نايتنغيل في بلدة فلورنسا بإيطاليا عام ١٨٢٠ وكانت من عائلة بريطانية غنية تؤمن بتعليم المرأة. وتعتبر نايتنغيل على نطاق واسع مؤسسة التمريض الحديث بعدما رسمت الخطوط العريضة المطلوبة من هذه المهنة. وقد كتبت في مذكراتها عدة شروط يجب أن تتوفر في الممرضة من أهمها أن تبتعد عن الأقاويل والشائعات، وألا تفشى أسرار مرضاها، وأن تكون أمينة عليهم ولا تتأخر في تنفيذ طلباتهم، وأن تكون دقيقة الملاحظة ورقيقة المعاملة.

الى جانب فلورنس نايتنغيل، هناك قائمة من الممرضات والممرضين مما حرصن وحرصوا على حصول المرضى على الرعاية الصحية المأمونة نذكر منهن ومنهم:

• دوروثيا ديكس (١٨٠٢-١٨٨٧)

دوروثيا ديكس، المولودة عام ١٨٠٢ في ولاية مين، كانت مُعلّمة ثمّ إصلاحية، وهي رائدة في مجال التمريض النفسي، حيث دافعت عن المرضى النفسيين وعملت بلا كلل لتحسين علاجهم. تكمن مساهمة ديكس في مناصرتها لإصلاح الصحة النفسية، مما جعلها واحدة من أشهر الممرضات وأكثرهن تأثيرًا وتعاطفًا في عصرها.

• ماري سيكول (١٨٨١-١٨٠٥)

وُلدت ماري سيكول في جامايكا عام ١٨٠٥. تعلمت مهارات التمريض من والدتها، التي كانت معالجة. واجهت سيكول تمييزًا عنصريًا، لكنها سافرت بمفردها إلى حرب القرم لتقديم الرعاية للجنود، وبرعت كواحدة من أشهر الممرضات المستقلات في عصرها. كانت مساهمة ماري سيكول خلال حرب القرم بارزة؛ فقد أنشأت الفندق البريطاني لرعاية الجنود المرضى والجرحى، مظهرةً بذلك صمودها وخبرتها الطبية. يتحدى إرث سيكول المناهج النمطية السائدة، ويُبرز أهمية التنوع في الرعاية الصحية.

• والت ويتمان (١٨١٩-١٨٩٢)

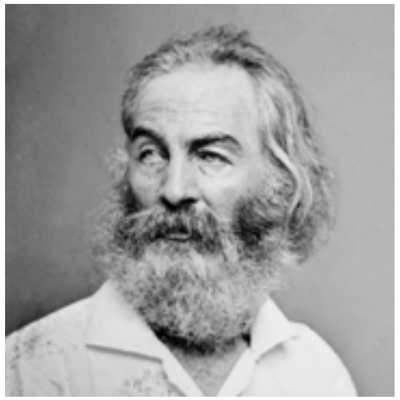

كان والت ويتمان، المولود عام ١٨١٩ في نيويورك، شاعرًا وكاتب مقالات وصحفيًا أمريكيًا غزير الإنتاج. خلال الحرب الأهلية، تطوّع كممرض، وترك بصمةً ليس فقط في الأدب، بل أيضًا إلى جانب ممرضين مشهورين آخرين ساهموا في تشكيل الرعاية الصحية بمهاراتهم وتعاطفهم. شهدت حياة ويتمان منعطفًا غير متوقع خلال الحرب الأهلية الأمريكية، تأثرًا بمعاناة الجنود الجرحى، تطوّع كممرض في المستشفيات العسكرية بواشنطن العاصمة. أثّرت تجاربه في المستشفيات تأثيرًا عميقًا على شعره اللاحق، ويتجلى ذلك في أعمال مثل «مضمّد الجروح»، حيث صوّر بوضوح حقائق الحرب والتكلفة البشرية للصراع.

• كلارا بارتون (١٨٢١-١٩١٢)

كانت كلارا بارتون القائدة صاحبة الرؤية الثاقبة التي أسست الصليب الأحمر الأمريكي عام ١٨٨١. عملت ممرضة خلال الحرب الأهلية الأمريكية، ولُقبت بـ «ملاك ساحة المعركة».

• ماري اليزا ماهوني (١٨٤٥-١٩٢٦)

حرصًا منها على تعزيز المساواة بين الأمريكيين من أصل أفريقي والنساء، سعت ماري إليزا ماهوني إلى مهنة التمريض التي تدعم هذه الأهداف. وتُعرف بكونها أول ممرضة أميركية من أصل أفريقي تحصل على ترخيص مزاولة المهنة. توفيت عام ١٩٢٦، وحظيت روحها بالعديد من الجوائز والنصب التذكارية. في عام ١٩٣٦، أسست الجمعية الوطنية لخريجي التمريض الملونين جائزة ماري ماهوني تكريمًا لإنجازاتها. تُمنح هذه الجائزة للممرضات أو مجموعات الممرضات اللواتي يُعززن التكامل في مجالهن. ولا تزال الجمعية الأمريكية للممرضات تُمنح هذه الجائزة حتى اليوم. كما كرمت الجمعية ماهوني عام ١٩٧٦ بإدخالها إلى قاعة المشاهير التابعة لها.

• إديث كافيل (١٨٦٥-١٩١٥)

ولدت إديث لويزا كافيل عام ١٨٦٥ في بريطانيا. كانت ممرضة وبطلة من أبطال الحرب العالمية الأولى. ورسخت مكانتها كواحدة من أشهر الممرضات في عصرها. تدربت كممرضة في لندن، ثم عملت لاحقًا في بلجيكا. تمثلت مساهمة إديث كافيل الرئيسية في عملها الشجاع كممرضة في بلجيكا المحتلة من قبل ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى. ورغم المخاطر، ساعدت أكثر من ٢٠٠ جندي من قوات الحلفاء على الفرار إلى هولندا المحايدة، وامتد التزامها بإنقاذ الأرواح ليشمل جنودًا من كلا طرفي الصراع، تم اعتقالها من قبل السلطات الألمانية، ورغم المناشدات الدولية بالعفو عنها، أُعدمت رميًا بالرصاص عام ١٩١٥، أثار موتها غضبًا شعبيًا وأصبح رمزًا لعبثية الحرب.

واللائحة تطول بأسماء تركت بصمات مشرّفة في عالم التمريض مثل آنا كارولين ماكسويل، إيزابيلا بومفري، ماري إليزابيث كارنيجي وغيرهن...

ملف التمريض حاضر في هذا العدد ٥٥ من «الصحة والإنسان» بعدة جوانبه، تقديراً لمهنة عظيمة واساسية في القطاع الصحي.

ر. راشد